(قلنا) ان الاعتبارات السابق ذكرها لا تكفي لحطّ منزلة البنات وخفض شأنهنّ كما نرى في كثير من نواحي لبنان وسوريّة. وكان الاحرى بالاهل النصارى ان يزيدوا اهتماماً في تربيتهنّ فيعود ذلك عليهم بالخير وعلى الوطن بالمنفعة الجزيلة (ستأتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ورأيت بخطّ ناصر الدين الحسين ما هذه صورتهُ: «توجهنا الى الكرك نهار الثلاثاء خامس ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (١٣٤٢م) الموافق لاوّل نيسان واقمنا عليها محاصرين من اوّل ذي الحجة الى سابع صفر سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣م) ووصلنا الى البلاد الحادي عشر منهُ بخير وسلامة ولله الحمد والشكر. وكانت الاشياء غالية فكيل الدقيق بثمانية عشر درهماً والخبز ثمان اواقٍ دمشقية بدرهم والشعير الكيل بعشرة دراهم. وكان غير ذلك من الاصناف متعذّر الوجود والحب زمان (كذا) الرطل باربعة دراهم وكذلك الجبن»

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمائة ضعفت حال السلطان احمد والكركيين وكان زرعهم قد رُعي رعاهُ التركمان والعربان. وكان اكثر دوابّهم قد نُهبت وانقطع عنهم الجلب وحالهم كما جاء في ضعف. وأخذت قلعة الكرك في شهر صفر من سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) وأُخذ السلطان احمد تحت الحوطة في القيد وشُدّد عليهِ وقتل. ثمّ رأيتُ بخطّ ناصر الدين الحسين ما حرفهُ: هرب سعد الدين سعيد بن ناصر الدين ابو الفتح بن سعدان من حبس الكرك ليلة الثلاثاء سابع عشر شوّال سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) وكان اعتقالهُ بها نهار الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) ووصولهُ (كذا) الى دمشق من الابواب الشريفة بالديار المصريّة يوم الجمعة ثاني ذي الحجة من السنة المذكورة ورُسم لهُ بتكملة عشرة رماح وكان لهُ قديماً خمسة فقط

وهذه نسخة جواب كتبهُ ناصر الدين الحسين عن مرسوم ورد عليهِ من نائب

الشام(١وهو: « ورد المرسومُ العالي اعلاهُ الله تعالى يتضمَّن الامر بعمارة جسر نهر الدامور الجاري بين صيداء وبيروت لما يقاسي السفارة فيهِ من المشقَّة والعطب وما أنهي الى العلوم الكريمة عنهُ صحيح. وفي اصلاح هذا الجسر حسنةٌ عظيمةٌ ساقها اللهُ تعالى لتسطَّر في صحائف مولانا ملك الامراء عزَّ نصرهُ وتجري في ايامهِ السعيدة ادامها الله وخلَّدها. ولم يبقَ في السواحل نهر مثل هذا النهر بغير جسر ويمرُّ عليهِ كثيرون من الجبليَّين الى حدّ البقاع. وكان الامير سنجر الشجاعيّ رسم للدمياطيّ الذي تولى صيداء وبيروت في اوَّل الفتوح الاشرفي بان ينشئ على الدامور جسرًا وكان الشجاعي عاين مشقَّتهُ وهو عابر الى بيروت. فلمَّا عمرهُ الدمياطيّ اقام الجسرُ سنتين وفي الثالثة اخذهُ السيل وبقي خرابًا الى ان رسم المرحوم سيف الدين تنكز بعمارتهِ فعُمِّر ولم يُتم الَّا بعض الشتاء. فسقط من السُّيول وحمل الماء بعض حجارتهِ الى البحر المالح وسقوطهُ من جانب القبلي كان في المرَّتين لضعف الاساس ومنع الماء عن تغميقهِ (؟) الى الصخر كما في الجهة الشمالية. فمن ثمَّ لا بُدَّ من تصريف الماء وعمل صناديق كبار اعلى من الماء فتُقيَّر مثل المراكب ويُفرَّغ الماء منها ويُحفر فيها اساس جيد الى الصخر ويُقطع لهُ حجارة كبار وعمدٌ وروابط ويُغمس في كلس بغير تراب. واما التقدير فقد عيَّنهُ النوَّاب. ولا يخفى انَّ العمل الجيد يحتاج الى كلفة زائدة. ولن يُدَّخر النفقة لذلك كان البلاء اعظم وان ضجرت الرعيَّة من هذا العمل فيحصل للناس عسف وتعجز قدرتهم عنهُ لانَّ البلاد متداعية الى الخراب لولا يشملهم عدل مولانا ملك الامراء. وقد تضايقوا من الجراد والمحل وكلفة تجردة الكرك. ثمَّ يُعلم المملوكُ سعادةَ مولانا انَّ في طرابلس مهندسًا خبيرًا بالاعمال الساحلية يقال لهُ ابو بكر بن البصيص البعلبكيّ وهو الذي عمَّر جسر نهر الكلب ولهُ غير ذلك من الاعمال الثقال بلاد طرابلس فان اقتضت الآراء العالية طلبهُ الى هذا العمل فيحصل بهِ النفع. والمملوك يمتثل ما يردُ عليهِ من المراسيم العالية »

ولم يكن لهذا الجواب تاريخ ولكنهُ اشار الى زمانهِ بذكر كلفة الكرك. وربما كان

---

١) وجاء في حاشية الكتاب: « ان هذا المرسوم كان ورد على ناصر الدين من طقزدمر نائب الشام تاريخهُ محرَّم سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م). ثمَّ بعد كتابة هذه الاوراق وجدتُ المرسوم المذكور فكتبت مضمونهُ ولصقتهُ تجاه هذه الورقة ». (قلنا) ولم نجد هذا المرسوم في النسخة الاصلية ولعلَّهُ سقط منها

نائب الشام الذي كتب اليهِ هذا الجواب سيف الدين طقزدمر الحمويّ نائب الملك الصالح اسماعيل بن محمّد (١ . لانَّ طقزدمر استمرَّ في النيابة الى حين وفاة اسماعيل المذكور في ربيع الاوّل سنة ست واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م) . فطلب طقزدمر الى مصر وأُحضر يلبغا اليحياوي (٢ من حلب وجعلهُ نائبًا في الشام عوضًا (٢ ٤) عن طقزدمر . وكان طقزدمر هذا مملوكًا للملك المؤيد صاحب حماة (٣ . فلمَّا توفي الملك المؤيد قام موضعهُ في سلطنة حماة ولدهُ الملك الافضل نور الدين عليّ ابن الملك المؤيّد وبقي مدَّةً بحماة . ثمَّ وُلّي طقزدمر المذكور نيابة حماة وعُزل الملك الافضل من السلطنة وبطلت السلطنة من حماة واستمرَّت نيابةً الى آخر وقت . وكانت نيابة طقزدمر على حماة في ربيع الآخر سنة اثنتين واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) وذلك بعد وفاة الملك الناصر محمّد بن قلاوون بقريب من اربعة اشهر وبعد خلع ابنهِ الملقب بالملك المنصور ابي بكر بن محمّد . وتسلطن بعد المنصور هذا اخوهُ كجك ابن الناصر محمّد (٤ وتلقب بالملك الاشرف . وكان طقزدمر المذكور قد تزوَّج امَّهُ فصار نائبهُ بمصر ثمَّ توجه الى نيابة حماة بعد خلع ابن استاذهِ الملك المؤيد ومنها توجَّه الى نيابة الشام . فلينظر الناظر في طباع الناس على انَّ طقزدمر المذكور كان مشهورًا بالجودة والعقل

وفي ايَّام ناصر الدين الحسين قدم صاحبُ حماة سائرًا الى السواحل ليزور القدس الشريف . وكان وقتئذٍ عزّ الدين جواد في بيروت فاوصل الى الجبل يخبر ناصر الدين بقدوم صاحب حماة فنزل ناصر الدين الى الدامور للاقاتهِ وترحَّل للسلام عليهِ . فلمَّا سمع ملك

---

١) الصالح رابع اولاد الملك الناصر محمّد بن قلاوون بويع لهُ بالسلطنة في مصر بعد اخيهِ احمد الذي مرَّ ذكر اخباره في الكرك (المشرق ١ : ١٠٩٢) واحسن السيرة في الرعيَّة واصلح احوال الدولة وتوفي بعد ثلاث سنين لسلطنتهِ سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م)

٢) كان هذا من امراء الملك الناصر محمّد بن قلاون فخدمهُ وخدم السلاطين اولادهُ . فولَّاهُ الملك الكامل شعبان ابن الناصر نيابة الشام سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م) . ولمَّا تولى الملك المظفرُ حاجي خافهُ نائب الشام يلبغا فهرب فتبعهُ عسكر دمشق وقاتلوهُ الى ان قُتِل سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦ م)

٣) هو المؤرخ الشهير ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م) راجع ترجمتهُ في مجاني الادب (٥ : ٢٦٤)

٤) المنصور والاشرف كجك ولدا الناصر محمّد بن قلاوون بويع لاوّلهما في آخر سنة ٧٤١ هـ (١٣٤١ م) وتولّى اخوهُ الامر بعدهُ بثلاثة اشهر فملك خمسة اشهر فقط

حماة بقدوم ناصر الدين ترحّل هو ايضاً للاقائه. فقال لهُ ناصر الدين: يا مولانا السلطان ما المملوك قبيل هذا الاكرام وقدرُك يجلُّ عنهُ. فاجاب صاحب حماة: « اذا انت لم تعرف قدري ولم اعرف انا قدرَك فمن يعرفهُ ». ونزل السلطان على باروتا عند جانب النهر. واقام ناصر الدين (٢ ؟) بواجبهِ وخاع عليهِ صاحب حماة خلعةً كاملة

واخبرني ابو جميل من بيصور قال: كنت في خدمة ناصر الدين لمَّا تلقى صاحب حماة في الدامور. وكنت اذ ذاك شابًّا حدث السنّ. ولم يذكر اسم صاحب حماة ولا لقبهُ ووجدت غيرهُ ممن لهم علم بهذه الحكاية فلم يكن لهم ايضاً معرفة باسمهِ. (قلتُ) هو احد الاثنين اما الملك المؤيّد اسماعيل (ابو الفداء) واما ولدهُ الملك الافضل علي ورأيتُ بين آثار السَّلف خلعًا فكان بينها خلعة طَرْدوحش (١ بقرٍ وسنجابٍ دائرهُ قندس (٢ وحياصة (٣ وطرفان من الشاش. وذُكر لي انَّها خلعة صاحب حماة المذكور

ستأتي البقيَّة

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي

١ توطئة

ليس من ديانة تتغيَّر على ممرّ الاعوام. لا بل على ممرّ الايام. مثل ديانة اتباع يزيد. فهي كل يوم تنقص او تزيد. بما يدخلها من رأي جديد. او بما يسقط منها ما اصبح فيها غير مفيد. وذلك حسب اهواء الشيوخ والرؤساء. اذ يخطّئون غالبًا بحكمهم الجائر من احسن ويصوّبون من اساء. حسبما تهبّ بين ايديهم نفحاتُ الصفراء والبيضاء. تلك التي تصفّر اوجهًا او تسودها وان كانت بالحقيقة حسناء وضّاءة. وربما كان ايضاً سبب تلوُّنهم في الاراء الدينية. عدم وجود كتب سَنَدية. يعتمدون عليها في تماليهم الاخروية والدنيوية. ولذا ترى اليزيدي:

---

١) الطَّرْد وحش كلمة مركبة يراد بها جلد الوحش القنيص وقد عيَّن نوعهُ بقولهِ « طرد وحش بقر وسنجاب » راجع تاريخ المماليك للمقريزي Quatremère: *Hist. des Mam-luks* II², 69 seqq.

٢) اي جلد قَنْدَس وهو كلب البَحْر ٣) الحياصة المنطقة